



العلاقات العراقية-التركية العمق التاريخي وآليات تفعيل التواصل

د. حامد محمد طه السويدي

مدرس - مركز الدراسات الاقليمية- جامعة الموصل

مستخلص البحث

تعد العلاقات العراقية-التركية أكثر تميزاً وعمقا من علاقات تركيا بالدول العربية الأخرى بحكم الموقع الجغرافي والاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية، وفي هذا البحث والذي تكون من مقدمة وخاتمة وثلاث محاور، تحدث المحور الأول عن العمق التاريخي الايجابي للعلاقات العراقية-التركية بينما درس المحور الثاني عوامل قوة ونجاح هذه العلاقات وفق اعتبارات الجوار الجغرافي وللاعتبارات الاستراتيجية والروابط الدينية والتاريخية المشتركة فضلاً عن التداخل الاثني، والارث الثقافي، والعامل الاقتصادي، اما المحور الثالث فقد وضع آلية لبناء علاقات ثابتة ومتوازنة من خلال النقاط التالية:

١. مشكلة المياه . ٢- العلاقة مع اسرائيل ٣-عدم التدخل في الشؤون الداخلية.

المقدمة

تتميز العلاقات العراقية التركية بكونها ذات عمق تاريخي، وقد ساعد الجوار الجغرافي للبلدين في تطوير العلاقة فيما بينهما، إذ ينفرد العامل الجغرافي والاعتبارات الاستراتيجية بأهمية خاصة كونه يؤثر إيجاباً في التفاعل والتأثير المتبادل بين العراق وتركيا عبر تاريخها الطويل فقد ساعدت هذه العوامل بفعل الصلات الحضارية الوثيقة على تقارب البلدين كثيراً وتميز العراق لاعتبارات معروفة بعلاقات حسنة مع تركيا أكثر من أي قطر عربي آخر، وساهم في انتقال الأفكار والمؤثرات الثقافية فضلاً عن أن العراقيين والأتراك تربطهم العقيدة الإسلامية والتاريخ والمصير المشترك وقد مثلت العقيدة الإسلامية عبر التاريخ أصرة تقارب فعالة بين العراقيين والأتراك وكانت قائمة على أسس دينية تركت إرثاً حضارياً كبيراً، وهذا



البحث محاولة لاستنكار العمق التاريخي الايجابي والمشرق في العلاقات العراقية التركية وتوظيف العامل التاريخي في وضع آليات تفعيل هذه العلاقات وجعلها أكثر قوة من أي وقت مضى والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى تعكير صفو العلاقات العراقية التركية.

المحور الأول: العمق التاريخي الايجابي للعلاقات العراقية التركية

ينحدر الأتراك من قبائل رعوية تجوب منطقة جبال التاي الى الشرق من سهول اوراسيا Eurasia والى الجنوب من نهر ينيسي Yenisei وبحيرة بيكال في الأراضي التي تعد حالياً جزءاً من سهوب منغوليا^(١).

وفي منطقة ما وراء النهر والتي نسميها اليوم "تركستان" والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقاً الى بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً ومن السهول السيبيرية شمالاً الى شبه القارة الهندية وفارس جنوباً، استوطنت عشائر الغز وقبائلها الكبرى تلك المناطق وعرفوا بالترك أو الاتراك^(٢) والاتراك عرق ابيض عريض الجمجمة Brahyeephalic وغالباً ما يطلق عليهم في الكتب الأدبية لفظ (طوراني) بالفرنسية Touranien وهم القوم الذين ينحدرون من فرع التاي Altay التابع لمجموعة اعراق اورال - التاي Ural-Altay^(٣).

اما عن اتصالهم بالعرب فيرجع الى عام ٢٢هـ-٦٤٢ م إذ تحركت الجيوش الإسلامية الى بلاد الباب لفتحها وكانت تلك البلاد يسكنها الأتراك، وهناك التقى قائد الجيش الإسلامي عبدالرحمن بن ربيعة بملك الترك شهريزار فطلب من عبدالرحمن الصلح وأظهر استعداداً للمشاركة في الجيش الاسلامي لمحاربة الأرمن فأرسله عبدالرحمن الى القائد العام سراقه بن عمرو، وقد قام شهريزار بمقابلة سراقه فقبل منه ذلك وكتب للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يعلمه بالأمر فوافق وعلى اثر ذلك عقد الصلح ولم يقع بين



الأتراك والعرب أي قتال بعكس ما يدعي الكتاب الغربيون. وسار العرب والأتراك معاً إلى بلاد الأرمن لفتحها ونشر الإسلام^(٤).

وبدأ الإسلام ينتشر بين الأتراك بعد فتح بلاد الترك ٧٠٥-٧١٥ م بخطى سريعة^(٥)، وحدث هذا حينما عبر العرب المسلمون نهر جيحون بقيادة عبيد الله بن زياد والي خراسان في عهد معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) واستولوا على بخارى وعدد من بلاد الترك^(٦).

وكان العراقيون أول من احتك بالأتراك من غيرهم من العرب من الناحية التاريخية والحضارية والثقافية، ولما كانت بغداد عاصمة الدولة العباسية ومركز الحضارة الإسلامية فقد شهد العصر العباسي الأول (٧٥٠-٨٣٣ م) هجرة أفواج كبيرة من الأتراك قدموا من بلاد ما وراء النهر (تركستان اليوم) لينضموا إلى جند الخليفة المعتصم بالله (٨٣٣-٨٤٢ م) الذي كانت أمة تركية الأصل^(٧). إذ لفتت حربية الأتراك كجنود أنظار العرب وجاءوا إلى بغداد وانضموا إلى جيش الخليفة كجنود إجراء في البداية^(٨)، وتلا ذلك مجيء السلاجقة الأتراك في القرن الحادي عشر الميلادي إلى بغداد مركز الخلافة العباسية التي كانت آنذاك آيلة للسقوط فألقوها من الانهيار، واعتمد الخليفة المعتصم عليهم وبنى لهم مدينة سامراء ٨٣٦ م، ولم يقتصر استخدام المعتصم لهم على الجيش والحراسة بل اعتمد عليهم في شؤون الإدارة والحكم وأدرج أسمائهم في ديوان الجند واليهم ينسب الانتصار على الروم في معركة عمورية* ٨٣٨ م^(٩).

وقد ساهم الأتراك في الانجازات العلمية والفنية وأخذوا مكانهم في الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في القرون الوسطى، ونستطيع أن نشير إلى بعض هؤلاء الإعلام ممن ينحدرون من أصل تركي كالفيلسوف الفارابي واللغوي جوهرى والشاعر صولي والشاعر بشار بن برد^(١٠).

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م قلت الدراسات التاريخية الجادة عن تاريخ العراق وشاع بين المؤرخين والباحثين تعبير (الفترة



المظلّمة) للدلالة على الحقبة التاريخية التي مر بها العراق منذ الغزو المغولي^(١١).

وفي بداية القرن الرابع عشر حين تأسست الدولة العثمانية ١٢٩٩م أخذت هذه الدولة الصغيرة في التوسع بشكل تدريجي وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان وقد أصبحت منذ العام ١٥١٧م حين ضمت إليها المنطقة العربية أقوى دولة إسلامية^(١٢).

وينفرد العامل الجغرافي والاعتبارات الإستراتيجية بأهمية خاصة لكونه أكثر من غيره قوة في التفاعل والتأثير المتبادل بين العراق وتركيا عبر التاريخ^(١٣) وعندما بسط العثمانيون نفوذهم على العراق وكان على مراحل فكانت الموصل أول مدينة عراقية تداخلت مع العثمانيين عندما أصبحت تابعة للدولة العثمانية رسمياً عام ١٥١٦م ثم بغداد عام ١٥٣٤م ثم مدينة البصرة عام ١٥٤٦م^(١٤)، فقد ساعد الجوار الجغرافي والصلات الحضارية الوثيقة والعمق التاريخي على تقارب البلدين، وتميز العراق لاعتبارات معروفة بعلاقات حميمة مع تركيا أكثر من أي قطر عربي آخر^(١٥)، ومما لا شك فيه أن هذا الجوار ساعد على انتقال الأفكار والمؤثرات بين العراق وتركيا وسهل عملية التأثير المتبادل بينهما^(١٦) وقد مثلت العقيدة الإسلامية طوال قرون متعاقبة آصرة تقارب بين العرب والأتراك عامة والعراقيين والأتراك خاصة^(١٧).

وما دنا بصدد الحديث عن أوجه التفاعل بين النخبتين العراقية والتركية فإن من الضروري أن نشير إلى آراء وطروحات رواد الفكر والأدب القومي التركي الحديث والتي مثلت مصدراً آخر للتأثير الفكري المشترك على النخبتين العراقية والتركية مع ملاحظة أن مثل هذا النمط من التأثير قد انحصر على الأغلب بين النخبة المثقفة العراقية أدباء ومفكرين فعلى سبيل المثال وجدت في جوانب من المعالجات الفكرية - القومية لساطع الحصري الذي شغل مناصب هامة في وزارة المعارف العراقية ملامح من آراء المفكر



التركي ضياء كوك الب ١٨٧٦-١٩٢٤م، كما كان لهذين المفكرين مجادلات مستمرة في الصحف والمجلات العثمانية حول نظام التربية والتعليم الذي ادخل فيه الحصري أساليب عصرية متقدمة وهو ما دفع بأحد الباحثين الاتراك أن يعد كلا من كوك الب والحصري نموذجين لا يمكن نسيان دورها في تطور الفكر التركي المعاصر بينما تأثر الشاعر العراقي معروف الرصافي بآراء وأفكار كل من نامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨م) وتوفيق فكرت (١٨٦٧-١٩١٥م) واتضح ذلك من خلال ترجمته للعديد من اعمالهما الشعرية والنثرية^(١٨).

وبعد أربعة قرون كاملة وجد الاتراك انفسهم ومنذ العام ١٩١٨ خارج الوطن العربي لتبدأ صفحة جديدة من تاريخ المنطقة والعالم ، فقد انكب الاتراك بعد اندثار سلطتهم على لملمة اشلاء ما تبقى منها في منطقة الاناضول وتراقيا الاوربية، وكان من نتيجة ذلك ولادة جمهورية تركيا الحديثة في ٢٩ تشرين الاول عام ١٩٢٣، وقد رفع مؤسس الجمهورية مصطفى كمال شعار (السلام في الداخل- السلام في العالم) في اشارة الى أن تركيا قد خرجت من محيطها لتتسغل برعاية شؤونها الداخلية وتنمية مجتمعتها^(١٩)، وبعد تسوية مشكلة الموصل عام ١٩٢٥ وترسيم الحدود أقيمت علاقات حسنة بين العراق وتركيا من خلال معاهدة ١٩٢٦، وأخذت العلاقات تتحسن تدريجياً لتصل الى أبعاد ايجابية إذ أعلنت تركيا اعترافها بالعراق عام ١٩٢٧، أعقبتها علاقات دبلوماسية بين البلدين^(٢٠) تميزت العلاقات السياسية بين العراق وتركيا في كونها لم تتعرض الى مشاكل جدية وخطيرة في هذه المرحلة من تاريخ البلدين^(٢١).

وقد وضع احد الكتاب العراقيين كتاباً تحت عنوان (تاريخ الصداقة بين العراق وتركيا) أشار فيه الى: (ان مياه دجلة والفرات تربط العراق وتركيا برابطة الاخوة)، وفي زيارة نوري السعيد رئيس وزراء العراق الى انقرة اوائل عام ١٩٣٢، عقد مع الجانب التركي ثلاثة معاهدات، وكانت الاولى بشأن



تسليم المجرمين، والثانية اتفاقية حول إقامة رعايا البلدين والثالثة معاهدة تجارية. وقد بلغت العلاقات الثنائية أوجها في عام ١٩٣٧، بعقد ميثاق سعد آباد بين كل من تركيا والعراق وإيران وأفغانستان وفي هذا السياق علقت إحدى الصحف العراقية حول الموضوع بالقول: (ان الاتفاقية لدليل واضح على استمرار العراق وتركيا على نياتهم السلمية)^(٢٢).

وبعد اعلان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ أجرى العراق اتصالات مع تركيا لتنسيق الموقف بين الدولتين تجاه الأوضاع الدولية وأوضاع الشرق الاوسط.

ولما وقعت ثورة مايس ١٩٤١ في العراق عرضت تركيا وساطتها بشأن الثورة وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً في ٥ آيار ١٩٤١ للنظر في أمر الوساطة التركية وقرر الموافقة عليها^(٢٣).

وفي عام ١٩٤٦ دخلت تركيا والعراق في معاهدة صداقة وحسن جوار مع ملاحق تتعلق بتنظيم مياه نهري دجلة والفرات وروافدها بين البلدين، وكذلك التعاون المتبادل في أمور الامن والتربية والتعليم والمواصلات البريدية والبرقية والتلفونية^(٢٤)، ومع قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق وإنهاء النظام الملكي وتأسيس النظام الجمهوري كان موقف تركيا من الثورة إن وجهت قواتها نحو الحدود العراقية الا ان الاتحاد السوفيتي حذر تركيا من مغبة القيام بأي اعتداء على العراق. وفي هذه المرحلة أصاب العلاقات العراقية التركية نوع من الفتور، وفي ٢٤ آذار ١٩٥٩ أعلنت الحكومة العراقية خروج العراق من حلف بغداد^(٢٥).

وعندما تولى السلطة في العراق عبد السلام عارف (١٩٦٣-١٩٦٦) اتسمت العلاقات بالهدوء حتى عام ١٩٦٥ عندما وقف العراق الى جانب تركيا ضد مشروع قُدِّم الى الامم المتحدة دعا إلى ضم قبرص الى اليونان وقد عبر الاتراك عن احترامهم العميق لموقف العراق^(٢٦).



وعندما اجتاحت القوات التركية جزيرة قبرص عام ١٩٧٤ وتأكيد رئيس الوزراء التركي بولند اجويد Bulent Ecevit بأن قرار الإنزال اتخذ بعد أن استنفذت تركيا جميع الطرق الدبلوماسية لحل الازمة القبرصية^(٢٧)، انطلق الموقف العراقي من اواصر العلاقات الحسنة والصدقة وحسن الجوار التي تربطه بتركيا وقدم العراق لتركيا خلال ازمة قبرص ١٩٧٤ الدعم المالي والاقتصادي، كما قامت الناقلات الحوضية بنقل النفط ومشتقاته من العراق الى تركيا وقد اثنى المسؤولين الاتراك على الموقف العراقي، ولم يقتصر تأييد العراق لاستقرار قبرص وسيادتها، اذ وقف العراق مع تركيا في هذه القضية في كافة المحافل الدولية وخاصة هيئة الامم المتحدة ، وفي مؤتمرات حركة عدم الانحياز ، ومؤتمرات السلم والبرلمانات العالمية^(٢٨). وشهدت العلاقات العراقية التركية تقدماً ملحوظاً منذ منتصف السبعينات وحتى نهاية الثمانينيات على المستويين الاقتصادي والسياسي، وفي عام ١٩٧٧ استكمل اول خط لانايب البترول يصل بين كركوك في العراق ويومرتاليك في تركيا^(٢٩).

وفي ايلول ١٩٨٠ اندلعت حرب الثماني سنوات بين العراق وايران وهي واحدة من اكثر حروب القرن العشرين ارهاقاً للارواح وتدميراً للبنى التحتية وتأثيراً في منطقة الشرق الاوسط من الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية كافة^(٣٠)، وأصدرت وزارة الخارجية التركية في ٢ تشرين الأول عام ١٩٨٠ بياناً أعلنت فيه (إن تركيا ستبقى على الحياد بين العراق وايران وإنها لن تبادر الى إرسال الأسلحة أو قطع الغيار الى أي منهما^(٣١))، وحافظت تركيا على حيادها بين طرفي الصراع من نشوبه في ٤ أيلول ١٩٨٠ وحتى توقفه في ٨ آب ١٩٨٨، واحتفظت بعلاقات اقتصادية وسياسية معها خلال الحرب^(٣٢). وعقدت ندوة فكرية في انقرة عام ١٩٨٨ بمناسبة انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وأشادت بمواقف العراق الرامية الى وقف الحرب وحمل



ثلاثة من الصحفيين الأتراك النظام الإيراني مسؤولية الحرب العراقية الإيرانية^(٣٣).

قد سعت تركيا للقيام بدور وساطة بين العراق وإيران لإنهاء الحرب ومنها مشاركة تركيا في لجنة المساعي الحميدة التي شكلتها منظمة المؤتمر الإسلامي حول الحرب وفي هذا السياق أشار رئيس الجمهورية التركية كنعان إيفرن (الأسبق) Kenan Evren (١٩٨٠-١٩٨٩) قائلاً (إلى جانب الإضرار التي تلحقها هذه الحرب التي وصلت إلى أبعاد خطيرة فقد بذلت تركيا والباكستان جهود مكثفة لإنهاء هذه الحرب)^(٣٤). وقد حاولت السلطات التركية من خلال سياستها الإقليمية وبناء علاقات طيبة مع كل من العراق وإيران على حد سواء^(٣٥).

وشهد عقد التسعينات أزمة الخليج عام ١٩٩٠ ففي إطار الأزمة المتفاعلة حذر رئيس حزب اليسار الديمقراطي بولند اجويد المعارض حكومة حزب الوطن الام برئاسة يلدرم اكبلوط Yildirim Akbulut من ممارسة ضغوط على المجلس الوطني التركي الكبير لمنحه صلاحيات ارسال قوات عسكرية الى منطقة الخليج واتهم اجويد في تصريح له نشرته مجلة Temel الاسبوعية الصادرة في ٣ أيلول ١٩٩٠ المخابرات الاسرائيلية والامريكية باثارة التوتر بين تركيا وجيرانها العرب^(٣٦)، وفي ١٥ شباط ١٩٩٩ قام طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقي بزيارة الى تركيا تلبية لدعوة رئيس الوزراء التركي بولند اجويد، وشملت الزيارة التباحث حول طلب العراق بوقف استخدام الطائرات الامريكية والبريطانية لقاعدة انجريك وقد عارضت اميركا دعوة الحكومة التركية لطارق عزيز لزيارتها وقد رد رئيس الوزراء التركي بولند اجويد على الاعتراض الأمريكي بقوله (إن تركيا تقرر وحدها سياستها الخارجية) وأعلن اجويد رغبة بلاده في استئناف العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا^(٣٧)، وخلال تشكيل اجويد حكومته الأخيرة ١٩٩٩-٢٠٠٢ في تركيا حاول تنمية العلاقات الثنائية مع العراق^(٣٨).



وتزامنت انتخابات عام ٢٠٠٢ في تركيا مع أزمة الحرب على العراق من قبل دول التحالف بقيادة الولايات المتحدة ، وساعد قرار البرلمان التركي برفض طلب الإدارة الأمريكية من استخدام قاعدة انجريك لضرب العراق، مما رفع شعبية رئيس الحكومة رجب طيب اردوغان^(٣٩) Recep Tayyip Erdoğan، وعارضت تركيا غزو العراق من قبل الولايات المتحدة الامريكية في عام ٢٠٠٣ ورفض المجلس الوطني التركي الكبير المصادقة على مرور القوات الأمريكية عبر الأراضي التركية لضرب العراق^(٤٠).

أما بخصوص موقف تركيا من الحرب الامريكية على العراق عام ٢٠٠٣ فقد لخص سليمان ديميريل Süleyman Demirel (١٩٩٣-٢٠٠٠) الرئيس التركي السابق الموقف الصعب الذي عاشته بلاده قبل الحرب على العراق عام ٢٠٠٣ بالقول: (إن الحرب حتمية مهما كانت التحركات والمبادرات وان تركيا ستتأثر بشدة إذ ما تورطت بحرب لكنها ستواجه خسائر خطيرة اذا لم تصبح جزءاً منها إننا نعيش مأساة كاملة)^(٤١) ، ولم يكن امتناع تركيا عن توفير التعاون المطلوب من واشنطن تمهيداً لغزو العراق عام ٢٠٠٣ قراراً جريئاً فحسب بل كان ساعة الحقيقة بالنسبة للاتجاهات الجديدة للسياسة الخارجية في حكومة حزب العدالة والتنمية وياً كانت الانتقادات التي وجهت الى الطريقة المرتبكة التي حكمت اتخاذ هذا القرار في البرلمان التركي في ١ آذار ٢٠٠٣ فان القرار في النهاية كان صائباً، ولقد آثار هذا القرار ارتياح غالبية الأتراك لكونه ابعد البلاد في التزام عسكري^(٤٢).

أما موقف تركيا من انتخابات ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ فقد شجعت على أن تجري الانتخابات في موعدها المحدد، وإنها ترى في الانتخابات تسريع في عملية الانتقال للسلطة وتضفي الصفة الشرعية على نظام ما بعد ٢٠٠٣/٤/٩ كما إن إجراء الانتخابات ينسجم مع سياسة تركيا العامة والداعية الى عراق واحد مستقر وديمقراطي^(٤٣).



المحور الثاني: العوامل المؤثرة في العلاقات العراقية التركية

ينشغل العرب والأتراك منذ سنوات بوضع الدراسات والكتب لما ستكون عليه علاقات بعضهم بالبعض الآخر، وهم يعبرون على عتبة الألفية الثالثة، وليس من شك في أن عملية استشراف لمدى زمني معين لابد أن تكتنفها صعوبات وترافقها تحديات وسوء في التقدير، لأسباب مختلفة تأتي المتغيرات غير المحسوبة في مقدمتها. ولكن ملامح المستقبل لابد أن تستند الى ما يمكن أن يعد تجارب حياتية تعتمد الماضي أساساً لها، وفي (الكتاب السيناريو) الذي أعدته نخبة من الاختصاصيين الأتراك في وزارة الخارجية التركية وصدر أواخر عام ١٩٩٩ بعنوان (تركيا والعالم ٢٠١٠-٢٠٢٠) لا يتضمن الكتاب الذي يحتوي ٨٩٩ صفحة من القطع الكبير إلا إشارة محدودة لما ينتظر تركيا في القرن المقبل في مجالات العلاقات مع العرب، وتتعلق هذه الإشارة بطموحات تركيا المستقبلية لان تقوم بدور اقتصادي وسياسي متقدم في منطقة اوراسيا والتي تشمل الأراضي الممتدة من اوربا الى غربي الصين، وهي المنطقة التي ستكون ساحة مركزية خلال الألفية القادمة، وتدل اتجاهات تقنية الإنتاج والاتصال والمعلومات على أن أوربا واسيا ستشكلان كياناً متكاملًا تتربط اجزاءه ويعتمد بعضه على البعض الآخر^(٤٤).

وينطلق (اسماعيل جيم) وزير خارجية تركيا السابق في تحليله الذي قدم به الدراسة أعلاه أن جانباً كبيراً من التنمية الاقتصادية خلال القرن المقبل سيجري في آسيا، ويعول كتاب (تركيا والعالم) على مسألتين أولهما (رفع الحظر الاقتصادي المفروض على العراق) وثانيهما (تحقيق السلام) في الشرق الأوسط فضلاً عن هدف ثالث هو (تحقيق السلام الدائم في جنوب شرق تركيا)^(٤٥).



منذ وصول حزب العدالة والتنمية الى السلطة أواخر عام ٢٠٠٢ أعادت الحكومة التركية الجديدة صياغة مبادئ السياسة الخارجية وأعطتها أبعاداً جديدة لم تبقَ هذه التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية التركية حبيسة أطرها النظرية بل وجدت فرصتها للتطبيق والتفعيل وأحرزت نجاحات باهرة وملموسة، ولعل ابرز الأمثلة على هذه النجاحات هو التحول الذي طرأ على علاقات تركيا مع الدول المحيطة بها وخاصة الدول العربية ومنها العراق التي باتت ترتكز على أساس مبدأ حل المشكلات العالقة وتكشف التعاون في المجالات كافة، وترغب تركيا في تحويل هذا التضامن والتعاون في الشرق والأوسط عموماً والعراق خصوصاً الى واقع راسخ ومؤثر على المدى البعيد، وترى تركيا أن مصيراً مشتركاً يجمعها بالدول العربية، فأنها تعمل بكل ما أوتيت من جهد وتأثير على حل مشكلات المنطقة باعتبارها مشكلاتها الخاصة^(٤٦).

وقد ارتكزت السياسة الخارجية التركية المعاصرة على خمسة مبادئ وهي:

١. محاولة حل المشكلات العالقة بين تركيا وجيرانها وفق ما يسمى (تصنيف المشكلات) وبالتالي إخراج تركيا من صورة البلد المحاط بالمشكلات والدخول في صورة البلد ذي العلاقات الجيدة مع الجميع.
٢. التوفيق بين الحريات والأمن.
٣. إتباع سياسة خارجية متعددة الأبعاد ومتعددة المسالك.
٤. تطوير الأسلوب الدبلوماسي وإعادة تعريف دور تركيا في الساحة الدولية.
٥. الانتقال من السياسة الجامدة والمكون الدبلوماسي الى الحركة الدائمة^(٤٧).

أما من ناحية العراق فإنه منذ تأسيسه كان يركز في سياسته الخارجية على مبدأ حسن الجوار انطلاقاً من مصالحه الوطنية والقومية (ونعني



سياسة حسن الجوار) والعمل من أجل تعزيز وتطوير التعاون وتحقيق السلام والأمن بين الدول المجاورة جغرافياً، وأن تقبل بعض الالتزامات التي تقضي بعدم اللجوء إلى الحرب. وأنها تعمل على إقامة علاقات صريحة بينها قائمة على أساس العدل وأن تعمل على سيادة العدالة، وأن العراق يمر الآن بمرحلة جديدة تتطلب بناء تجربة سياسية جديدة في الداخل، ولهذا فإن الجديد ينبغي أن يسود سياسته الخارجية مبنياً على مبدأ حسن الجوار، ويؤكد دستور العراق للعام ٢٠٠٥ في مادته الثامنة على مبدأ حسن الجوار، في علاقات العراق الخارجية التي تتدرج في إطار بناء علاقات خارجية فاعلة ونشطة يمكن أن تنعكس إيجابياً على بناء هذه التجربة وتساهم في تطور العملية السياسية في العراق وتعمل على تحقيق الأمن والاستقرار والتنمية الاقتصادية والحق أن سياسة حسن الجوار تجاه تركيا متجذرة تاريخياً^(٤٨). وبناءً على ما سبق فإن هناك مجموعة من العوامل المؤثرة في العلاقات العراقية التركية منها:

١- الجوار الجغرافي والاعتبارات الإستراتيجية

- شكل موقع تركيا الجغرافي تاريخياً ركيزة لانطلاقها نحو العالم إذ يحاول صناع القرار في تركيا استغلال هذا الموقع لبناء رصيد إقليمي والارتقاء به نحو العالمية وتكمن أهمية موقع تركيا في أنها:
- أ- تتوسط قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وإفريقيا وأوروبا) وقد منحها هذا الموقع قدرة على التفاعل الحيوي في المحيط الإقليمي.
- ب- تقع تركيا في قلب المجال الجغرافي المصطلح تسميته (أوراسيا) وهي تعتبر المنطقة الوسطية المتحركة في قلب العالم (Heart Land) وفق نظرية هالفورد ماكندر الجيوبولتيكية.
- ج- هي دولة قارية وبحرية معا.



د- تحدها المياه من ثلاث جهات البحر الأسود في الشمال وبحر إيجة في الغرب والبحر المتوسط في الجنوب^(٤٩).

وينفرد العامل الجغرافي بأهمية خاصة لكونه أكثر من غيره قوة في التفاعل والتأثير المتبادل بين العراق وتركيا عبر التاريخ ، فقد ساعد الجوار الجغرافي والصلات الحضارية الوثيقة والعمق التاريخي على تقارب البلدين كثيرا وتميز العراق لاعتبارات معروفة بعلاقات حميمة مع تركيا أكثر من أي قطر عربي آخر، وقد ساعد إلى مدى بعيد على انتقال الأفكار والمؤثرات الثقافية بين العراق وتركيا^(٥٠)، ويتفق المفكرون والمحللون كافة على أن الجغرافيا والتاريخ صنوان فإذا كانت الجغرافيا تمثل المكان فأن التاريخ يمثل عنصر الزمان الذي يطرح حقيقة تطور المكان في بعده الزمني في علاقات الجوار الجغرافي حيث تصبح التطورات فيها عقب حقبة زمنية متتابعة تعبيراً عن جزء من الذاكرة التاريخية لشعوب الدول المتجاورة^(٥١).

وينتج هذا التقارب الجغرافي ضرورات إستراتيجية تركية للجمهورية العراقية، تبعا لأهميتها الجغرافية ولأهميتها الإستراتيجية للعالم الغربي وتأثيرها في تركيا داخليا وخارجيا وتتأثر العلاقات العراقية التركية بمجموعة من المحددات الداخلية والخارجية أهمها:

١- المحددات الداخلية:

أ- اعتبارات الموقع والجوار الجغرافي. ب- الإرث التاريخي.

ج- الرابطة الدينية. د- الأقليات الاثنية.

٢- أما المحددات الخارجية فهي:

أ- العلاقات الاقتصادية مع العراق. ب- العلاقة مع الغرب. ج- العلاقات التركية الإسرائيلية^(٥٢).

٢- الروابط الدينية والتاريخية المشتركة



ينتمي العراقيين والأتراك إلى بيئة ثقافية شبه واحدة تستمد عناصرها من الدين الإسلامي والتاريخ الواحد والمصير الواحد لذا ليس من الغريب أن تكون عناصر الالتقاء أكبر بكثير من عناصر الاختلاف والتباين^(٥٣).
فقد مثلت العقيدة الإسلامية طوال قرون متعاقبة أصرة تقارب فعالة بين العراقيين والأتراك وكانت هذه العلاقات قائمة على أسس دينية أكثر منها سياسية أو اقتصادية^(٥٤).

٣- التداخل الأثني

على امتداد حدود تركيا مع العراق وداخل مناطقها الجنوبية الشرقية مزيج غير متجانس من الأقليات القومية والدينية عدد الأكراد من بين أكبرها، حيث أقاموا بمحاذاة الحدود خطا من المستوطنات العشائرية، ومن بين تلك المستوطنات وداخل هذه المدن وضواحيها كان هناك أيضا العرب الذين اندمجوا من عشائر قاطنة بشكل مستديم أو رحالة مثل عشائر شمر، وطبي، وعنزة، والجبور، والشرابييين، والحمدانيين وعشائر أخرى، كذلك تواجد العنصر العربي في مدن تركية مثل ديار بكر، وماردين ونصيبين وسادت هذه المدن اللغة والعادات والتقاليد العربية جنبا إلى جنب مع نظيرتها الكردية والتركية.

وقد زار الباحث هذه المناطق ومكث ثلاثة أيام فيها وأطلع على جانب من الظروف والأوضاع التي تعيشها الأقلية العربية ومن الجوانب الإيجابية لدى العربي في تركيا هو أنه يعتز بوطنه ولديه روابط مصاهرة مع أخيه التركي تربطهم العقيدة الإسلامية والتاريخ والجغرافية المشتركة^(٥٥).

وفي موازاة هذا الخط كان هناك خط آخر للأقليات سكنت على طول الحدود العراقية مع تركيا أو داخل مدن وقصبات وقرى المنطقة الشمالية للعراق، وكان الأكراد أبرز تلك الأقليات، وإلى جانب الأكراد كان هناك التركمان الذين استقروا في منطقة امتدت من الجانب الأيسر لنهر دجلة في



الموصل مروراً بأربيل، التون كوبري، كركوك، كفري، السعدية وحتى مندلي وعدت كركوك مركزاً لهذه الأقلية^(٥٦).

٤- الإرث الثقافي والنظرة الإيجابية للآخر

عاش العراقي والتركي طيلة الألف سنة الماضية في هذه المنطقة الحيوية من العالم وقد ولد هذا التعايش تراكمات ثقافية واجتماعية وفكرية وأبرز العديد من الأنماط الأدبية على الصعيدين الرسمي والشعبي^(٥٧). وتقتضي الأمانة العلمية أن نشير إلى تأثير الفولكلور التركي بالفولكلور العراقي وهذا لا يعني عدم تأثير الفولكلور العراقي بالفولكلور التركي، وإنما لهذا التأثير أثره الفعال في تطوير الفولكلور العربي من جوانبه الفنية بشكل خاص نظراً إلى المدة الطويلة للتلاقح الثقافي بين الشعبين العربي والتركي^(٥٨)، ولعل جانب الفنون الجميلة في التلاقح الثقافي والحضاري العربي التركي أكثر الجوانب تأثراً وتأثيراً في حياة الشعبين الصديقين فإذا كان السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) قد لبس ملابس فارس عربي عندما سار إلى العراق لضم بغداد إلى السيطرة العثمانية، فقد تأثرت الحياة العربية بالعديد من جوانب الحياة التركية في الأزياء الحديثة وتأثر الأتراك أيضاً بالخط العربي وفي تطوير استعمالات الخط العربي في التزيين والتزويق سواء كحروف أو خطوط كالخط الكوفي والفارسي والتعليق وفي زخرفة الأواني الزجاجية وعمل الجداريات في المساجد، بل أن قصر بغداد الكائن في استانبول لا يزال يحتفظ بكافة فنون الأرابيسك* وبالطرازين الفاطمي والأندلسي^(٥٩).

والأمثال التركية التي تضرب طويلاً في التراث التركي وتمدح العرب كثيرة وصفات العرب مثبتة في الآداب التركية فهم أي العرب: (قوم نجيب عرب) بمعنى أن العرب قوم نجباء وصفات العرب من كرم وشهامة ومحافظة على العرض والجوار واتسامهم بالفروسية والأخلاق الكريمة



موجودة هنا وهناك في الأعمال الأدبية التركية والعثمانية مثل: (حُسن وعشق) للشاعر العثماني الكبير (غالب) وكذلك الشاعر عبدالحق حامد* الذي وصف العرب في ثنائياته المسرحية (فتح الأندلس) وعبدالحق حامد له منزلة عظيمة في نفوس الأتراك وهو عندهم الشاعر الأعظم قوله: (إن من صفات العرب الصدق والثبات والمهابة في الحرب والهدوء في السلم والسمو عن النهب والسلب في الغزوات، وأنهم يعمرّون ولا يخربون إجماع الأمة عنهم أساس الحكم ومن صفاتهم أن المرء منهم لا يخطب على خطبة أخيه وأن الحكمة دوماً على لسان العربي)، تقول الرؤية التركية: إن تربية العربي لأبنيه قوامها البكور والصلاة وتلاوة القرآن الكريم والفروسية والصيام وحفظ الشعر، والعربي إنسان متحضر يسلك تجاه الأسرى سلوكاً خلقياً إسلامياً والعرب المنتصرون يحترمون جثث أعدائهم والشجاعة النادرة تكون مرادفة للعرب في الأدب التركي^(٦٠).

وحظيت المرأة العربية بمكانة سامية في وجدان الأتراك عامة وفي أدبهم خاصة فالرؤية التركية للمرأة العربية رؤية أكبار وإجلال واحترام فالمرأة العربية مجاهدة ومخلصة دينها أهم ما لديها من كل اعتبار آخر. مقاتلة إذا لزم الأمر تتال احترام العربي وحبّه ثابتة على الحق والعدل، كريمة أبيّة مؤمنة بالله ولا تقع إلا إذا ماتت ولا يقهرها إلا الموت وأنها تتردد على المدارس للعلم^(٦١).

٥- العامل الاقتصادي

إن مصلحة تركيا الاقتصادية ليس الآن فحسب وإنما ترجع إلى أيام عهد الدولة العثمانية، فالدول العربية عموماً والعراق خصوصاً يشكل سوقاً كبيراً وغنياً بالخيرات والثروات، والعلاقات الأخوية تجعلها أولى بإقامة مؤسسات تعاون اقتصادية معها^(٦٢)، وتعد تركيا من الدول المجاورة للعراق وارتبطت بعلاقات تجارية معه منذ مطلع القرن العشرين^(٦٣)، وفي عقد الثلاثينات



ارتبط العراق بتركيا باتفاقية تجارية على المستوى الرسمي بعد تأسيس الدولة العراقية^(٦٤)، كما وقع العراق اتفاقيتين تجاريتين مع تركيا الأولى عام ١٩٣٢، والثانية ١٩٦٥ م تضمنت ١١ مادة مع ملحقين لكل من الصادرات العراقية والتركزية^(٦٥).

وقد تطورت مجالات التعاون العراقية التركية بعد عام ١٩٦٨ إذ حرص العراق على إقامة علاقات حسن جوار وتعاون متبادل^(٦٦)، وفي أيلول ١٩٦٨ تم التوقيع على اتفاقية الترانزيت بين البلدين والتي تستهدف العلاقات التجارية^(٦٧)، ونظرا لموقع البلدين، وقربهما الجغرافي، وتبادل مواردهما الطبيعية، وتنوع التبادل التجاري أثر كبير في العلاقات الاقتصادية وتنفيذ المشاريع المشتركة، إذ شهدت العلاقات الاقتصادية بين العراق وتركيا خلال عقدي السبعينات والثمانينات تطورا ملحوظا في ميدان التجارة والطاقة والإنشاءات والاستثمارات والعمالة، وقد تطورت بشكل ملحوظ منذ أوائل الثمانينات بفعل عوامل سياسية واقتصادية^(٦٨)، وللعراق وتركيا علاقات اقتصادية ضخمة تمثلت في العلاقات الاقتصادية، والتعاون التجاري، والاستثمارات المتبادلة، والتعاون النفطي، ومشاريع أنابيب الغاز الطبيعي، ومشروع الربط الكهربائي^(٦٩).

وفي عام ٢٠٠١ قام وزير النفط العراقي عامر محمد رشيد بزيارة إلى تركيا لحضور اجتماعات الدورة الثالثة عشر للجنة العراقية المشتركة للتعاون الاقتصادي والتجاري وأوضح أن قيمة المبادلات التجارية بين الدولتين بلغت سنة ٢٠٠٠ ملياري دولار وأضاف بأن الدولتين تسعيان لرفع تلك القيمة إلى ثلاثة مليارات دولار سنويا^(٧٠).

ورغم مخاوف تركيا من الاتفاقية الامنية المبرمة مع العراق والولايات المتحدة الأمريكية في ٢٦ آب ٢٠٠٧ والتي احتوت على بعض البنود، وفي المجال الأمني يؤكد التزام امريكا بردع أي عدوان خارجي يستهدف العراق وينتهك سيادته وحرمة أراضيها وأجوائه أو مياهه الإقليمية، إلا أن موقف



تركيا كان مسانداً لهذه الاتفاقية ورغبتها في أن يكون العراق بلداً واحداً يمتلك مقومات الدولة الحديثة لما يترتب عليه من مردودات ايجابية تنعكس على المجالات الاقتصادية والسياسية والامنية^(٧١). وفي ١١ تموز ٢٠٠٨ وقعت تركيا والعراق الإعلان السياسي المشترك لتأسيس المجلس الأعلى للتعاون الاستراتيجي بين حكومتي العراق وتركيا وتعهدهما بتطوير شراكة استراتيجية طويلة الأمد تهدف الى تعزيز التضامن بين شعبي العراق وتركيا وفي ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٩ كسرت تركيا الحلقة الأصعب والاكثر حساسية في سياستها الخارجية من خلال الزيارة التاريخية التي قام بها وزير الخارجية التركي احمد داؤد اوغلو ومعه وزير التجارة ظفر تشاغليان الى اربيل^(٧٢)، وبعد احتلال العراق في ٢٠٠٣/٤/٩ من قبل الولايات المتحدة الأمريكية تأثرت التجارة التركية كثيرا بسبب انعدام الأمن وعدم قدرة الشركات التركية العمل في العراق، لكنها عادت من جديد وزادت نسبتها عما كانت عليه قبل عام ٢٠٠٣، ومن خلال هذا العرض التاريخي للعلاقات الاقتصادية فإن العراق وتركيا في حالة استقرار الأمن واتفاقية حسن الجوار والصداقة من الممكن الاستفادة اقتصاديا من كلا البلدين.

المحور الثالث: من أجل بناء علاقات ثابتة ومتوازنة

ظهر في السنوات القليلة الماضية خطاباً سياسياً تركيا تجاه العرب يتسم بالإيجابية وقد صرح القادة الأتراك في أكثر من مناسبة على قوة علاقاتهم وتاريخهم المشترك مع العرب فقد تحدث رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في القمة العربية المنعقدة في مدينة سيرت الليبية بتاريخ ٢٧-٢٨ آذار ٢٠١٠ قوله: (إن تاريخنا وعقيدتنا لم تجعلنا أصدقاء بل أقول بخطوط عريضة جعلتنا أخوة أشقاء)^(٧٣)، والآن يتحدث أحمد داود أوغلو وزير الخارجية التركي الحالي عن مبدأ السلام وتصفير المشكلات والمنفعة



الاقتصادية مع دول الجوار الجغرافي ومنها العراق، وقبل التعليق على هذا الطرح لابد من القول بأن الدول القومية بدأت بالانحسار والتراجع خاصة في الشرق الأوسط فالدول العربية بدأت أنظمتها بإعادة التشكيل وفق مبادئ الديمقراطية والتعددية وتقبل الآخر، وإن المصالح الاقتصادية والعمل على رفاهية الدول والحوار الحضاري والفكري هو الذي أصبح أيولوجية لأي دولة في المنطقة، وهنا ينبغي على الجارة تركيا أن تبدأ تصفير مشكلاتها من الداخل أولاً ثم الانطلاق نحو العرب عموماً والعراق خصوصاً في إعادة تشكيل علاقات صادقة ومتوازنة وثابتة مدعومة باتفاقيات صداقة وتعاون وحتى دفاع مشترك أن صحت النوايا، أما التصريحات والأقوال فهي تبدوا هامشية في ظل تعاون تركي أمريكي إسرائيلي غربي ثابت، ويعتقد الباحث هناك مجموعة من المشاكل لابد من أن يوضع لها صيغ تعاون وحلول جذرية ليتسنى لنا التعايش الحقيقي السلمي ومن أبرز هذه المشكلات.

١ - مشكلة المياه

شهدت منطقة جنوب شرق تركيا في السنوات الأخيرة تحقيق جملة مشروعات مائية كبيرة متعددة الأغراض، والنتائج شملت سلسلة من سدود المياه، والخزانات، وأنفاق الري، ونظم الأقينية، ومحطات كهرومائية يطلق عليها باللغة التركية اختصاراً مصطلح مشروع الكاب GAP. Güneydöğü Anadolý Progesi لاستغلال نهري دجلة والفرات^(٧٤)، وتبرز أهمية تنمية الموارد المائية في تركيا باعتبارها الأساس الحقيقي للتحويل الحضاري، والتنمية الاقتصادية^(٧٥)، وعلى هذا الأساس تتطلع تركيا وهي تقوم بتنفيذ مشروعها التنموي المتعدد الأغراض إلى تحقيق عدد من المكاسب السياسية



والاقتصادية رغبة منها في بناء اقتصاد قوي يعتمد على مقومات الصناعة الحديثة، والنهوض بواقع الزراعة، والاهتمام بالتجارة، وتشجيع الحركة السياحية في البلاد^(٧٦).

ويرى الباحث بأنه لا بد من طي صفحة الماضي فيما يتعلق بمشكلة المياه وتصريحات المسؤولين الأتراك عن أهداف مشروع الكاب وكيف يريدون مقايضة الماء بالنفط واعتماد مشكلة المياه ورقة ضغط سياسية تجاه العراق، وهنا كما قال أوردغان: (لا بد من مراجعة الذات والتصالح مع التاريخ العربي)، وباعتقادي وحتى يتم تصفير المشكلة لا بد من اتخاذ إجراءات عملية بنية حسنة وكما يلي:-

١- احترام المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الجانبين وضرورة الالتزام بها لأن هذه الاتفاقيات المصدر الأساسي المعتمد لتنظيم واستثمار مياه الأنهار المشتركة.

٢- على تركيا التنسيق مع العراق بشأن تزويده بالمعلومات والخرائط الخاصة بالمشاريع التي تنوي تركيا إقامتها^(٧٧).

٣- الكف عن اللعب (بورقة المياه) فقد كتب صحيفة كون أيدن التركية الصادرة في ٢٤ كانون الثاني ١٩٩٠ مقالا تحت عنوان (مساومة حول الماء والنفط مع العراق) وقولهم أيضا: (مثلما لديكم سلاحا قويا هو النفط فأنا أيضا نملك سلاح الماء).

٢- العلاقة مع إسرائيل

تشهد العلاقات التركية الإسرائيلية منذ تأسيسها المزيد من التحسن ففي مطلع التسعينات تطورت العلاقة بينهما على أساس أنهما الحليفان الاستراتيجيان للولايات المتحدة الأمريكية وقد تطور الاتفاق التركي الإسرائيلي الذي تم توقيعه في شباط ١٩٩٦ إلى حلف عسكري ، بشكل بدوره خطرا على المنطقة لاسيما سوريا والعراق فالاتفاق يسمح للطيران الحربي



الإسرائيلي باستخدام الأجواء، والقواعد التركية فأصبحت لإسرائيل قدرة استطلاعية في اختراق أجواء المنطقة، وكانت المناورات التركية الإسرائيلية الأمريكية عام ١٩٩٨ قبالة الشواطئ السورية على بعد ١٠٠ كم تحت عنوان (الحورية الوثقة) ف وقعت تركيا (١٦) اتفاقية في مجال التعاون العسكري أبرزها الاتفاق على إنتاج صواريخ متوسطة المدى (٥٠٠ كم) ذات قدرة عالية وشراءها دبابت إسرائيلية من نوع (مير كافا ٣) وعددها (٨٠٠) دبابة بقيمة ٤,٥ مليون دولار وتوقيع اتفاقية بقيمة ٦٠٠ مليون دولار لتحديث (٥٤) طائرة مقاتلة تركية فضلا عن المجال الاستخباري^(٧٨).

ويعتقد الباحث بأن موضوع العلاقات التركية الإسرائيلية هو شأن تركي لكن إن هذه العلاقات إذا ألحقت ضرراً بالدول العربية عموماً والعراق خصوصاً هذا لا يمكن تقبله فينبغي المصارحة مع الذات فإذا كانت تركيا تقول نحن أخوة أشقاء تربطنا العقيدة الإسلامية لابد لها من فهم هذا الطرح ، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا تقدم تركيا على إقامة تحالف عراقي تركي أو تركي سوري بنفس الحجم، خاصة وأن العراق ليس لديه نظرة سلبية تجاه الجارة تركيا، المطلوب التحرك الفعلي تجاه العراق ووفقاً لما يطرحه الساسة الأتراك من عامل الدين والتاريخ المشترك لابد أن تكون العلاقة بين العراق وتركيا أقوى من العلاقات مع تركيا وإسرائيل المختلفة عقائدياً وتاريخياً.

وأخيراً لابد من الإشارة إلى أن العرب عامة والعراقيين خاصة لهم تصورات إيجابية عن الجارة تركيا ولم يكونوا يوماً من الأيام يريدون الإيقاع بها أو إلحاق الأذى بها ولعل كلمات الزعيم القومي الراحل جمال عبدالناصر (١٩٥٢-١٩٧٠) خير دليل على شعور المحبة والإخاء تجاه تركيا بقوله: (مهما يكن الأمر بيننا وبين تركيا في الماضي أو الحاضر فهي منا ونحن منها كان أبونا وأبوها أخوين في التاريخ تشاركاً في سراء الحياة وضرائها وتقلبا معا في نعمائها وفي بؤسها وحارباً جنباً إلى جنب في ميدان



واحد قرونا عدة لنصرة المثل العليا وحين تألّبت قوة البغي والعدوان لتزحزحنا عن مكاننا في التاريخ كانت تركيا هي الهدف الأول وكنا نحن من ورائها، ووطننا ووطنها قطعتان من هذا الشرق العربي فهي دولة من آسيا وإن كان وجهها لأوروبا، وقرأنا قرأناها واحد نزل به الوحي الأمين على محمد (ﷺ) في مكة والمدينة وفسره مفسره في بغداد والشام ومصر وكتبه كاتبه بقلم النسخ في استانبول وما يزال يتلوه بلساننا أو بلسان غير لساننا قراء مسلمون في أضنه وأنقرة وديار بكر وأزمير وقونية- ماضينا وماضيتها فصلان من كتاب واحد في تاريخ الإسلام، وحين وطئت أقدام الأتراك أرض أوربا لتقييم دولة عثمانية على أنقاض إمبراطورية قسطنطين كان شعار المحاربين من العرب والأتراك يومئذ واحد على كل لسان هو: (الله أكبر) يهتف به المصلون في أبا صوفيا فيتردد صدهاء على مآذن المسجد الأموي بدمشق والجامع الأزهر بالقاهرة وجامع الزيتونة في القيروان ومساجد أخرى في بغداد والكوفة وصنعاء وفاس وغرناطة.

ونحن إلى كل ذلك أصهار ففي كل دار من دار العرب على اتساع بلادهم عربي يمت إلى الترك بخنوله وفي كل دار من دور الترك برغم اعتزالهم في ديارهم تركي يمت إلى العرب بعمومه فقد اختلطنا نسبا وصهرا ومواريث ثابتة ومنقولة وإن قامت بيننا الحدود والسدود والأسلاك الشائكة ، ونحن اليوم من تركيا كما كنا في الماضي أخوة مخلصين لأخت صالحة العرق والنسب وإذا سلمت تركيا سلمنا وإذا نحن كنا من القوة بحيث يحسب العدو حسابنا فقد سلمت تركيا فنحن لها الدرع الواقية وهي في موقعنا بإزاء العدو درع لنا، الشعب التركي يؤمن بهذه الحقائق منذ كلن فلم يكفر بها يوما^(٧٩).

الخاتمة



تبين من خلال البحث أن العلاقات العراقية - التركية علاقات متميزة وإيجابية أكثر مما هي سلبية فالإرث التاريخي والمصالح الاقتصادية والأمنية والثقافية المتبادلة جعلت السياسيين والمتقنين من النخبتين العراقية والتركية تبحث وتطرح آليات من شأنها تطوير وإنماء هذه العلاقات، ويعتقد الباحث بأن معظم دول الشرق الأوسط ويفعل التلاحق الحضاري والانتماء الديني أصبح في كل دولة أقليات عرقية ترجع في أصولها إلى دول أخرى لكنها انصهرت بهذه الدولة وأصبح لديها انتماء لتراب الوطن الذي ولد فيه ودرس ونشأ... الخ. ففي تركيا توجد أقليات عربية وكردية عراقية الأصل فمعظم القبائل العربية في تركيا هي قبائل أصلها عراقية وكذا الحال في العراق توجد أقلية تركمانية ترجع أصولها إلى العرق التركي. وينبغي على كل من العراق وتركيا النظر إلى المستقبل وتسخير طاقات الشعبين الصديقين العراقي والتركي من أجل بناء علاقات أكثر عمقاً وتبادل للمصالح الاقتصادية والثقافية من أجل انماء قدرات الشعبين وتحقيق الرفاهية الاقتصادية .

وينبغي لنا إذا أردنا الحفاظ على قوة ونجاح وثبات العلاقات العراقية التركية لأبد من:

- ١- المحافظة على بناء الثقة وحسن النية بين الشعبين الصديقين المسلمين.
- ٢- المحافظة على اعتماد الخطاب السياسي الهادئ والمعتدل والاحترام وإيجاد علاقات متوازنة.
- ٣- عدم التدخل في الشؤون الداخلية والتعاون وحل النزاعات بالطرق السلمية وضمان أمن الحدود.
- ٤- إقامة منطقة تجارة حرة بين العراق وتركيا وتشجيع الاستثمارات والتعاون الاقتصادي بين البلدين.



- ٥- تطوير العلاقات الثقافية وتشكيل لجنة من المؤرخين والكتاب من مراكز الدراسات في الجامعات لتبادل الأفكار وتصحيح المفاهيم التاريخية التي عمل الاستعمار على زرعها في نفوس الشعبين الصديقين.
- ٦- تشجيع السياحة.

Iraqi-Turkish Relations, The Historical Depth and Mechanisms of Persistence

Dr. Hamid M. Al Suwaidani
College of Fine Arts

Abstract

Iraq-Turkish relations are considered as deeper and more distinctive than other Turkish relations with Arab countries and that is because of the geographical location and the economic cultural strategic considerations. In the current study a light was shed on the on the following pivots; the first one talked about the positive historical depth of the Iraqi- Turkish relations, while the second one talked about the factors of strength and success of these relations in



accordance with considerations of geographical neighboring, strategic considerations, mutual religious historical ties addition to the ethnic overlap, the cultural inheritance , and the economic factor, The third pivot talked put forth a mechanism for the sake of building permanent and parallel relations through the following points :

١. The problem of waters.
٢. The relation with Isreal .
٣. Non interference in internal affairs .

الهوامش

- (١) أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، ايتراك للنشر والتوزيع (القاهرة: ٢٠٠٥)، ص ١٥.
- (٢) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط، ط ٥، دار المعرفة، (بيروت: ٢٠٠٨)، ص ٢٣.
- (٣) يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل (استانبول، ١٩٨٨)، ص ١٧.
- (٤) الصلابي، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٥) هيثم الكيلاني، تركيا والعرب، دراسة في العلاقات العربية التركية، ط ١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (ابو ظبي، ١٩٩٦)، ص ٩.
- (٦) محمد طه الجاسر، تركيا: ميدان الصراع بين الشرق والغرب، دار الفكر، (دمشق: ٢٠٠٢)، ص ٢١.
- (٧) الكيلاني، المصدر السابق، ص ١٠.



- (٨) اوزتونا، المصدر السابق، ص ٤٦.
- (*) معركة عمورية ٨٣٨م: وهي المعركة التي يتغنى التاريخ الاسلامي بفتح عمورية ويذكر للمعتصم بأنه حينما بلغه نبأ المرأة المسلمة التي اعتدى عليها جنود بيزنطيون في ثغر زبطرة فصاحت مستغيثة (وامعتصماه) وحينما بلغه النبأ صاح بكل شهامة (لبيك ايها المرأة المسلمة) واعلن النفير العام في الجيش وفتحت عمورية انتقاماً لشرف المرأة المسلمة، اسامة أحمد تركماني، تاريخ الاتراك والتركماني ما قبل الاسلام وما بعده، دار الارشاد للنشر، (سوريا - ٢٠٠٧)، ص ٦٩.
- (٩) الكيلاني، المصدر السابق، ص ١٠.
- (١٠) اوزتونا، المصدر السابق، ص ٤٦.
- (١١) خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد: ١٩٧٥)، ص ١.
- (١٢) خليل اينالجيلك، تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء الى الانحدار، ترجمة محمد الارناؤوط، ط ١، دار الكتب الوطنية (ليبيا، ٢٠٠٢)، ص ٩.
- (١٣) نصيف جاسم المطليبي، موقع تركيا الجيوستراتيجي وأهميته للعراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: ١٩٨٦)، ص ٢٤٦.
- (١٤) مراد، المصدر السابق، ص ٢٣.
- Edward Greasy , History the Ottoman Turke (London- ١٨٧٦), P.٢٤٦.
- (١٥) قاسم خلف عاصي الجميلي، العراق والحركة الكمالية ١٩١٩-١٩٢٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد - ١٩٩٠)، ص ٢٢.
- (١٦) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (١٧) المصدر نفسه، ص ٢٥. للمزيد عن انتقال المؤثرات والأفكار بين تركيا والعراق ينظر: ذنون يونس الطائي، الاتجاهات الإصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل - ١٩٩٩).
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٣٢.
- (١٩) محمد نور الدين، السياسة الخارجية، أسس ومراكز في مجموعة باحثين تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، (لبنان، ٢٠١٠)، ص ١٣٣.
- (٢٠) عوني عبدالرحمن السبعراوي، العلاقات العراقية التركية ١٩٣٢ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير منشورة، مركز الدراسات التركية (جامعة الموصل، ١٩٨٦)، ص ٢٧.
- (٢١) جمهورية العراق، مركز البحوث والمعلومات: خيارات السياسة الخارجية التركية (مصدر خاص) (د.م. د.ت)، ص ٥٧.



- (٢٢) العلاقات العربية التركية (من منظور عربي)، ج ١، معهد البحوث والدراسات العربية، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (إستانبول، ١٩٩٢)، ص ٢٣٩.
- (٢٣) مهدي صالح حسن العبيدي، العلاقات العراقية التركية ١٩٦٨-١٩٨٠، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد - ١٩٨٦)، ص ٢٨.
- (٢٤) عوني عبدالرحمن السبعوي، العلاقات العراقية التركية وآفاق تطورها، مجلة اوراق تركية معاصرة، السنة ١، العدد ١، مركز الدراسات الاقليمية (التركية سابقاً) (جامعة الموصل - ١٩٨٧)، ص ٩.
- (٢٥) العبيدي، المصدر السابق، ص ٣٥.
- (٢٦) محمود علي الداود، العلاقات العربية التركية والعوامل المؤثرة فيها، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٥، (بيروت - ١٩٨٢)، ص ٦٧.
- (٢٧) مقابلة شخصية للباحث بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٩ في مدينة ازميت التركية مع الاستاذ الدكتور اورهان كول أوغلو السكرتير الشخصي لرئيس الوزراء التركي الراحل بولند اجويد.
- (٢٨) حامد محمد طه السويدي، بولند اجويد ودوره في السياسة التركية ١٩٥٧-٢٠٠٢، اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل - ٢٠١٠)، ص ١٠٧.
- (٢٩) العلاقات العربية التركية (من منظور تركي)، ج ٢، معهد البحوث والدراسات العربية، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية (إستانبول - ١٩٩٢).
- (٣٠) ماريّا حسن مغتاز التميمي، موقف تركيا من الصراع العراقي الايراني (١٩٨٠-١٩٨٨)، المجلة السياسية والدولية، السنة ٥، العدد ١٦ (الجامعة المستنصرية - ٢٠١٠)، ص ٢٠٥.
- (٣١) زياد عزيز حميد الجلبي، السياسة الخارجية التركية ١٩٧٣-١٩٨٣، رسالة ماجستير غير منشورة، (الجامعة المستنصرية-١٩٨٩)، ص ٦٠.
- (٣٢) جلال عبد الله معوض، السياسة التركية والوطن العربي في الثمانينات، مجلة شؤون عربية، العدد ٦٢، (القاهرة - ١٩٩٩)، ص ١٤٥.
- (٣٣) حامد محمد طه احمد السويدي، العلاقات العراقية التركية ١٩٨٠-١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل - ٢٠٠٣)، ص ٣٤.
- (٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.
- (٣٥) جرجيس حسن، تركيا في الاستراتيجية الامريكية بعد سقوط الشاه، ط ١، (د.م - ١٩٩٠)، ص ٧٩.
- (٣٦) طلال يونس الجليلي، بولند اجويد: دراسة في النسق الفكري المعاصر، مجلة دراسات تركية، السنة ٣، العدد ٤، مركز الدراسات الاقليمية (جامعة الموصل، ١٩٩٣)، ص ١٠٥.



- (٣٧) هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمه ١٦٤٨ الى نهاية القرن العشرين، ط ١، ج ٢، (دمشق، ٢٠٠٢)، ص ٢٣٦.
- (٣٨) جاسم الحريري، أهمية العلاقات العراقية التركية في الامن الاقليمي والدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بحوث سياسية رقم (٢٠)، ارشيف مركز الاقليمية، جامعة الموصل، ص ٧.
- (٣٩) كمال بياتلي، تكريس العلمانية في تركيا صراع الهوية، تحرير لقاء مكّي، مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، (قطر-٢٠٠٦)، ص ١٥.
- (٤٠) باربارا سلامتي، اوردوغان يتحدث عن الوضع في العراق، ترجمة انور نجم محمود، نشرة ترجمات اقليمية، السنة ١، المجلد ١، العدد ٢، (مركز الدراسات الاقليمية) (جامعة الموصل - ٢٠٠٩)، ص ١.
- (٤١) مثنى علي المهداوي، السياسة التركية تجاه العراق ما بعد الانتخابات، مجلة العلوم السياسية، السنة ١٧، العدد ٣٢ (جامعة بغداد - ٢٠٠٦).
- (٤٢) شريف تغيان، الشيخ الرئيس رجب طيب اوردوغان: مؤذن اسطنبول ومحطم الصنم الاتاتوركي، ط ١، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠١١، ص ٢٠٧.
- (٤٣) المهداوي، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- (٤٤) ابراهيم خليل العلاف، العلاقات العربية التركية في مواجهة القرن الحادي والعشرين، مركز الدراسات الاقليمية (جامعة الموصل - ٢٠٠٠)، ص ٥.
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٥. للمزيد ينظر: ابراهيم خليل العلاف، نحن تركيا: دراسات وبحوث، ط ١، مركز الدراسات الاقليمية (جامعة الموصل، ٢٠٠٨).
- (٤٦) أحمد داؤد اوغلو، العمق الاستراتيجي، موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ط ١، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، راجعه بشير نافع وبرهان كوزوغلو، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت- ٢٠١٠)، ص ١١-١٢.
- (٤٧) نور الدين، المصدر السابق، ص ١٣٨.
- (٤٨) سعد حقي توفيق، العرق وسياسة حسن الجوار تجاه تركيا وإيران، مجلة العلوم السياسية، السنة ٢١، العدد ٤١ (جامعة بغداد - ٢٠١٠)، ص ١٠-١١.
- (٤٩) علي حسين باكير، تركيا الدولة والمجتمع: المقومات الجيوسياسية والجيوسراتيجية النموذج الإقليمي والارتقاء العالمي في تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج...، ص ٢٠.
- (٥٠) الجميلي، المصدر السابق، ص ٢١.



- (٥١) عبد المنعم سعيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت-١٩٨٧)، ص ٢١.
- (٥٢) وائل محمد إسماعيل ألبعدي، العرب في الإدراك الأمريكي والتركي، مجلة أم المعارك، السنة ٧، العدد ٢٧، مركز أم المعارك للبحوث والمعلومات (بغداد- ٢٠٠١)، ص ٤٥.
- (٥٣) محمد نور الدين، وجهة نظر عربية في التعاون والتنسيق العربي التركي، مجلة المستقبل العربي، ملف خاص بندوة الحوار العربي التركي (بيروت - ٢٠٠١)، ص ١٠٥.
- (٥٤) أجمالي، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٥٥) مقابلة شخصية للباحث مع الشيخ خلف العواجه شيخ قبيلة البوحمدا في بيته في منطقة شانلي أوفه للمدة من ١٩-٢١/٣/٢٠٠٨. للمزيد عن اوضاع العرب في تركيا ينظر: محمد عبد الرحمن العبيدي، العرب في تركيا، مجلة اوراق تركية معاصرة، العدد (١٨)، مركز الدراسات الاقليمية، (جامعة الموصل- ٢٠٠٢).
- (٥٦) الجميلي، المصدر السابق، ص ٣٩، للمزيد ينظر: عوني عبد الرحمن السباعوي، الأقليات والطوائف في تركيا صراع الهوية، (نقلاً عن شبكة الانترنت)، ص ٦٢.
- (٥٧) إبراهيم الدافوقي، صورة العرب لدى الأتراك، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت - ١٩٩٨)، ص ٥٥.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٦٣، للمزيد ينظر: ميشال نوفل وآخرون، العرب والأتراك في عالم متغير من وجهة النظر العربية، ط١، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، (بيروت، ١٩٩٣).
- (*) الارابيسك: هي تلك الزخرفة التي ينم اسمها عن اصلها العربي وتعني هذه الزخرفة كلمة التوريق وهي اصدق تعبير وقد اطلق مؤرخو الفن الاوروبيون هذه الكلمة على نوع من الزخارف النباتية ابتدعه الفنان العربي والمسلم وينطلق فن الارابيسك من الفكرة الجوهرية في التعليم الاسلامي والمتعلقة بالتشبيه والتنزيه والتي كان لها اثر تاريخي حاسم في تباعد الفنانين العرب والمسلمين عن التصوير او التشبيه، عمر عبد العزيز، ارابيسك فن يتكئ على فلسفة الجمال العربية، مجلة الرافد، العدد (٣٤)، (الامارات العربية المتحدة - ٢٠٠٠)، ص ٨٤.
- (٥٩) المصدر نفسه، ص ٦٧.
- (*) عبدالحق حامد: هو الشاعر الاعظم عند الاتراك وألمع ادبائهم وهو شاعر غنائي رقيق وقاص ومؤلف مسرحي يمتاز بحرية الفكر له من المؤلفات (٣٦) عنواناً بين شعر ومسرح ومن اهم مؤلفاته فتح الاندلس ١٨٧٩، وابن موسى او ذات الجمال ١٩١٧. محمد حرب عبد الحميد، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ط٢، دار القلم (دمشق-١٩٩٩)، ص ٢٨١.
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٨٢-٢٨٣.



- (٦١) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.
- (٦٢) الجاسر، المصدر السابق، ص ٢٤.
- (٦٣) قبيس سعيد عبدالفتاح، ومثنى عبدالرزاق الدباغ، العلاقات الاقتصادية العراقية التركية ومستقبلها، مجلة أم المعارك، العدد ٢٢، (بغداد - ٢٠٠٠)، ص ٥٩.
- (٦٤) عادل دهش صالح، النقل البري للبضائع المستوردة عبر تركيا إلى العراق ندوة الشؤون التركية، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية (بغداد - د.ت)، ص ٩.
- (٦٥) السبعاء، العلاقات العراقية التركية وآفاق تطورها، ص ١٤.
- (٦٦) سياسة العراق الدولية، التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي (بغداد ١٩٨٢)، ص ١٨٥.
- (٦٧) دراسات عن تركيا، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية (الأرشيف والتوثيق)، ج ٤ (بغداد - د.ت)، ص ٤٩٤، نقلا عن محضر الاجتماع الثالث للسنة التجارية المختلطة المجتمعة في أنقرة (شباط - ١٩٧٣).
- (٦٨) محمد صلاح محمود الكبايجي، العلاقات العراقية التركية ١٩٩١ - ٢٠٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة (الجامعة الأردنية - ٢٠٠٢)، ص ٢٤ - ٢٥.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٧، للمزيد من العلاقات الاقتصادية العراقية التركية ينظر: السويدي، العلاقات العراقية التركية، ١٩٨٠ - ١٩٩٠ (الفصل الرابع).
- (٧٠) حنا عزو بهنان، العلاقات النفطية العراقية التركية ١٩٧٧ - ٢٠٠١ مجلة دراسات إقليمية، العدد ٥٥ (جامعة الموصل - ٢٠٠٦)، ص ٣٦.
- (٧١) افراح ناثر جاسم، موقف تركيا من الاتفاقية الامنية بين العراق والولايات المتحدة الامريكية، نشرة متابعات اقليمية، العدد ٢، السنة ٦، جامعة الموصل، (مركز الدراسات اقليمية، ٢٠٠٩)، ص ١.
- (٧٢) تغيان، المصدر السابق، ص ٢١٠.
- (٧٣) الهادي غيلوفي، العرب والأترك ما بين المصالحة التاريخية والمصالح الإستراتيجية، مجلة شؤون عربية، العدد ١٤٣ (الأمانة العامة للجامعة العربية - ٢٠١٠)، ص ٢١٦.
- (٧٤) عوني عبدالرحمن السبعاء، إسرائيل ومشاريع المياه التركية: مستقبل الجوار المائي العربي، ط ١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (أبو ظبي - ١٩٩٧)، ص ١٥.



- (٧٥) أورهان كول أوغلو وآخرون، العلاقات العربية التركية (حوار مستقبلي) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية الذي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت - ١٩٩٥)، ص٣٣٧.
- (٧٦) ريان ذنون العباسي، مشروع جنوب شرق الأناضول وتأثيره في العلاقات العربية التركية، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل - ٢٠٠٤)، ص ١٠٣.
- (٧٧) سحر عبدالمجيد المجالي، الاتفاقيات الدولية لاحواض الانهار المشتركة: الاطار التاريخي، بحث مقدم الى المؤتمر السنوي بعنوان (المياه العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين)، مركز دراسات المستقبل، جامعة اسيوط، (مصر، ١٩٩٨)، ص ٣٠.
- (٧٨) خورشيد حسين دلي، تركيا وقضايا السياسة الخارجية، ط٢، منشورات اتحاد الكتاب العرب (دمشق - ١٩٩٩)، ص ٤٨-٤٩، وللمزيد ينظر: دوف واكسمان، تركيا وإسرائيل، ميزان قوى جديد في الشرق الأوسط، مجلة الفكر السياسي، العدد ٧ (دمشق - ١٩٩٩).
- (٧٩) جمال عبدالناصر، تركيا الشقيقة، في صباح محمد محمود، دراسات عن تركيا، ج٢، مركز الدراسات الآسيوية والإفريقية (بغداد - د.ت)، ص ٢٥٥.